المحاضرة الثالثة: الدراسات المقارنة العربيّة

1 – البدايات :

كانت النهضة العربية علمية أولا ثم بعدها أدبية، ولعلّ أوّل من وضع اللبنة الأولى في هذا الحقل المعرفي هو **رفاعة الطهطاوي** الذي سافر مع البعثات الطلابية إلى فرنسا كواعظ ديني و ألّف– بعدما اِطّلع على بعض مظاهر الحضارة الغربية– كتابه **تخليص الإبريز في تلخيص أخبار باريز** الذي كان مقارنة شكلية وسطحية بين الثقافتين الشرقية والغربية .

أضف إلى ذلك **سليمان البستاني** الذي ترجم " إلياذة " هوميروس شعرًا من اليونانية إلى اللّغة العربيّة الذي حاول من خلال المقدمة التي كتبها لهذا العمل أن يبحث عن الشعر القصصيّ العربيّ، ويقارنه بمثيله الفرنسي أو الغربي عامة لكنه انتهى إلى ألاّ وجود للشعر القصصي الفني الحقيقي في الثقافة العربية .

وعند انتهاء القرن التاسع عشر كان الإقبال على الدراسات المقارنة كبيرا ويظهر ذلك جليا عند عدد من المؤلفين السوريين أمثال **نجيب الحداد** الذي حاول المقارنة بين الشعر العربي و الفرنسي؛ و انتصر للشعر العربي– والملاحظ أن هذه الدراسة كانت ضعيفة جدا–.

كما كانت مجلة " المقتطف " حينذاك اللسان الناطق باسم الوعي الفكري المتفتّح، وقد نشرت مقالا بعنوان "بلاغة العرب والإفرنج " **لأحمد كامل** الذي رجّح بلاغة العرب وتحامل على البلاغة الفرنسية وقد انتُقد من قبل **خليل ثابت** و **نيكولا فياض** اللّذين وصفاه بالجاهل للثقافة والبلاغة الغربيتين.

لعلّ أوّل عمل يستحقّ الذكر فعلا هو كتاب **روحي الخالدي** بعنوان : **تاريخ علم الأدب عند الإفرنج و العرب وفيكتور هوغو**؛ وهو يشمل على مقدمة تاريخية واجتماعية في علم الأدب عند الإفرنج والعرب– أثناء تمدنهم حتى العصور الوسطى–، وما أخذه الإفرنج عنهم من الأدب و الشعر في نهضتهم الأخيرة لاسيما **فيكتور هوغو Victor Hugo**. ومن بين الموضوعات التي تناولها أيضا أخذُ **التروبادور** علم القوافي عن العرب. والأصل العربي لمسرحية السيّد **le Cid لكورناي**.

وبعد **الخالدي**، كان الاهتمام بالدراسات المقارنة يزداد ، ففي سنة **1912** يكتب الشاعر العربي مطران **خليل مطران** –في مقدمته لمسرحية " **عطيل**" **لشكسبير** –التي ترجمها إلى اللغة العربية– عن اقتراب شكسبير من الذوق العربي.

وفي مطلع العشرينيات بدأت كلمة **مقارن** تظهر بوضوح أكثر في مجال الدراسات الأدبية العربية. وتحتلّ مكانا في بعض المعاهد العليا: كمدرسة دار العلوم بالقاهرة التي استخدمت منهج المقارنة في مجال الدراسات اللغوية؛ ففي سنة **1924** كانت تُدرّس بها مادة جديدة بعنوان: **اللغة العبرية و اللغة السريانية ومقارنتهما باللغة العربية.**

وفي مطلع الثلاثينيّات ساهمت مجلة **الرسالة** بنشر بعض الدراسات الخاصة بالأدب المقارن والآداب الأجنبية بشكل عام؛ منها مقالات عن الأدب الفارسي والأدب العربي – واتّصفت بالعمق النسبي والمنهجية–. بالإضافة إلى بعض المقالات التطبيقية مثل مقال بعنوان : **دانتي أليجيري والكوميديا الإلهية وأبو العلاء المعري** .

بالإضافة إلى مجلة **المقتطف** التي نشرت بدورها عدّة مقالات سنة**1933** ؛ منها مقال نشره باللغة الفرنسية **ماريوس بك شميل** بعنوان " **لامرتين في ربوع الشرق** " إلاّ أنّها كانت وصفية. وهذه الفترة هي التي أسّست لظهور البحث التطبيقي في الدراسات المقارنة العربية.

وفي الأربعينيات من القرن العشرين ظهر كتاب ذو أهمية في هذا الحقل المعرفي الأدبي **لإلياس أبي شبكة** بعنوان: **روابط الفكر بين العرب والفرنجة.** وفي سنة **1948** ظهر كتابان هما: من الأدب المقارن **لنجيب العقيقي،** وفي الأدب المقارن **لعبد الرزاق حميدة.**

وفي الخمسينيّات تعدّدت وسائل التواصل بين العرب والغرب فاتسعت رقعة المقارنة في هذه الفترة خاصّة بعد عودة الطلاب الذين تخصّصوا في هذا المجال في أوروبا ونذكر من بينهم **محمد غنيمي هلال** الذي نشر سنة **1953** كتابه " **الأدب المقارن** " الذي يُعدُّ مصدرا مهمّا للدراسات المقارنة العربية.

وفي السّنة نفسها نشر **محمد البحيري** كتابا بعنوان: الأدب المقارن، وفي سنة **1957** نشر **صفاء خلوصي** كتابا بعنوان :**دراسات في الأدب المقارن** بالإضافة إلى مؤلفاته الأخرى : الأدب المقارن و فن الترجمة في ضوء الدراسات المقارنة و الترجمة التحليلية.

وبهذا تنتهي المرحلة التأسيسية للدراسات المقارنة في البلاد العربية لتترك المجال **لمرحلة الترويج.**

وفي هذه المرحلة ظهرت مجلتان مختصتان في الدراسات المقارنة هما:

أ– مجلة " **الدراسات الأدبية** " ظهرت في لبنان من **1966** إلى **1967** كانت تصدر باللّغتين العربيّة والفارسيّة .

ب– **الدفاتر الجزائرية للأدب المقارن:** ظهرت في الجزائر فيما بين **1967** و **1968** وهي تصدر باللغة الفرنسيّة وكان يديرها الدكتور " جمال الدين بن شيخ ".

وفي سنة **1966** ظهر كتاب بعنوان **دراسات في الأدب المقارن لعبد المنعم خفاجة** وفي سنة **1967** صدر كتاب **لحسن حسن جاد** بعنوان : **الأدب المقارن.** أضف إلى ذلك " **طه ندا** " الّذي كان يقارن بين الأدب العربي

و الآداب الشرقيّة، و يُعدّ كتابه عن **الأدب المقارن** مرجعا رئيسا و لا غنى للمهتمّين بالدراسات المقارنة عنه لأهمّيته و منهجيّته.

وفي فترة السبعينيات تبدأ **مرحلة النضج**: و أهمّ ما يميّزها صدور أبحاث أكاديميّة :لمحمد عبد السلام كفافي في سنة **1971** وطه ندا في سنة **1975** وبديع محمد جمعة في سنة **1978**. و كتاب **حسام الخطيب** الذي ظهر سنة **1971** بعنوان : **سبل المؤثرات الأجنبية وأشكالها في القصة السورية -دراسة تطبيقية في الأدب المقارن**- و كُلّلت المرحلة بصدور كتاب **إحسان عباس: ملامح يونانية في الأدب العربي**.

وفي الثمانينيات ظهرت مجموعة كبيرة من المقالات و الكتب ممّا يدلّ على تطوّر هذا النوع من الدراسات في البلاد العربية. ومن بين ما نشر في هذه الفترة نذكر:

مجلة " **عالم الفكر** " التي خصّصت عددا كاملا للدراسات المقارنة سنة **1980**. وفي **1982**صدر كتاب **إبراهيم عبد الرحمان محمد** : " **النظرية والتطبيق في الأدب المقارن** "، وفي سنة **1983** خصّصت مجلة " **فصول** " عددين منها للدراسات المقارنة .

وفي فترة التسعينيات تواصل الإصدار بنفس الوتيرة التي كان عليها في المرحلة السابقة؛ ومن أهم ما ظهر فيها كتاب **آفاق الأدب المقارن - عربيا وعالميا -لحسام الخطيب** سنة **1992**.

وكتاب **الأدب المقارن من منظور الأدب العربي – مقدمة وتطبيق- لعبد الحميد إبراهيم** سنة **1997**.

2- تدريس الأدب المقارن في الجامعات العربية :

لم تدخل المقارنة حيز الدراسات الأدبية إلا في سنة **1938** حين صدر قرار وزاري بتاريخ **25** يوليو **1938** الخاص بتنظيم لائحة " دار العلوم " ونصّ القرار على ضرورة إضافة مادة جديدة هي " الأدب وقراءة النصوص ودراسة الآداب الأجنبية " كما نص هذا القرار أيضا على أن يُدرّس الأدب العربي المقارن في فرقة التخصص ابتداءً من العام نفسه.

وفي سنة **1943** قرر المجلس الأعلى لدار العلوم في إحدى جلساته أن يصبح الأدب المقارن مادة جامعية مستقلة تدرس في السنتين الثالثة والرابعة .

في سنة **1953** عمل **إبراهيم سلامة** على تدريس الأدب المقارن لطلبة الأدب العربي.

و شهدت هذه الفترة (الخمسينيات) عودة المختصين من الجامعات الأوروبية و على رأسهم **محمد غنيمي هلال** الّذي افتتح عام**1956** بكلية الآداب **بجامعة عين شمس** مكانا في قسم اللّغة العربية للأدب المقارن، وكان هو من يُشرف على تدريسه.

وفي أواسط الستينيّات عاد **عبد الحكيم حسان** من انكلترا حيث نال شهادة الدكتوراه في الأدب المقارن والتحق بقسم الأدب المقارن والنقد و البلاغة بكلية دار العلوم، بالإضافة إلى **صفاء خلوصي** الّذي كانت لديه رؤية واضحة للّدرس المقارن باقتراحه لمحاور الدرس انطلاقا مما يوجد في العالم العربي من مادة الترجمة والنتاج الأدبي والأساليب والمذاهب والأنواع الأدبية.

تأخّر ظهور الدراسات المقارنة في المغرب إلى سنة 1963 وذلك بسبب حداثة الجامعة المغربية وقد **كان أمجد الطرابلسي** أستاذا للأدب المقارن في هذه الجامعة لمدة طويلة حوالي عقدين من الزمن . وبعده التحقت كوكبة من المختصين في هذه المادة بهذه الجامعة أمثال: **عبد اللطيف السعداني وسعيد علوش ومحمد أبو طالب وحسن المنيعي**.

أما في تونس فكانت مادة " الأدب المقارن " تدرس في كلية الآداب بجامعة تونس منذ **1972** و يشترك في تدريسه أساتذة اللغة العربية واللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية.

وأما في **الجزائر** فقد بدأ تدريس مادة الأدب المقارن ابتداء من العقد الثاني من القرن العشرين وبالذات في جامعة الجزائر، وفي سنة **1969** بدأت جامعة قسنطينة في تدريسه وبعدها جامعة عنابة في سنة **1978** ثم جامعة تيزي وزو في سنة **1979**. وبقي **المنهج الفرنسي** في الدراسات المقارنة هو المتّبع في كلّ الجامعات الجزائرية على غرار معظم الجامعات العربية الأخرى . و شهدت سنة **1983** استعمال المنهج الألماني لأوّل مرّة في الجزائر ، و ذلك مع ما قدّمه **أبو العيد دودو** من دراسات مقارنة.